تحليل محتوى المخطوطات الخطابية للعلامة سي عطية مسعودي

د.سحوان عطاء الله

بجامعة الجلفـــــة

مقدمة :

المخطوطات لها أهمية بالغة في الحفاظ على التراث المعرفي للجماعة، وبالتالي الحفاظ على الجذور الثقافية للدولة والأمة، فالانغماس المعرفي في الماضي السحيق للجماعة بهدف الاستفادة مما كتبه العلماء الأقدمون وما تركوه من علوم ومعارف وأفكار يمثل الجذور الحية الحقيقية والفاعلة للنمو الاجتماعي للجماعة انطلاقا من النظرة التوفيقية للتناقض والتصارع الحادث بين التيار التراثي والتيار الحداثي، إذ أن كلاهما ينافح ويكافح من أجل إثبات نظرته وجدارتها بالفاعلية والسيطرة الاجتماعية إلا أن البديل الثالث الذي يطرحه العلامة ستيفن كوفي يبقى هو الرهان الأكبر للخروج من عنق الزجاجة واللفافة الشرنقية التي تلتف حول رقبة الأمة لخرقها في مرحلة مخاض عسير تمر به الأمة العربية .

إن الانغماس في الدراسات التراثية المعرفية من مخطوطات وكتب ودراسات وفي الوقت نفسه الانفتاح على المنتجات المعرفية لكل الدراسات العلمية الحديثة هو الكفيل بإنتاج حلول جديدة ومتجددة لكل مشاكلنا . من هذا المنطلق ارتأينا العكوف على تحليل محتوى المخطوطات الخطابية للعلامة سي عطية مسعودي، ولعل هذه المخطوطات الخطابية نادرة الوجود أنها لم تطبع، وبقيت محفوظة في مكتبة العامرة حتى تحصلنا على نسخة منها من عند ابنه الأديب الأريب يحيى مسعودي، وفي هذا الصدد سنعمل على تحليلها تحليلا سوسيولوجيا.

1-أهمية المخطوطات :

المخطوطات هي الوعاء المعرفي للعلوم والدراسات والأبحاث والأفكار المنتجة في مراحل تاريخية سالفة، لكن الزمن الفلكي الذي برزت فيه إلى مخبر التاريخ انسحب إلا أن الزمن الاجتماعي ما زال في حاجة إليها بهدف تحليلها وإعادة تركيبها لتحويلها إلى طاقة معرفية فاعلة في إنتاج الحلول لكثير من المشاكل المطروحة .

" تنبه العالم إلى أهمية التراث العربي الإسلامي من المخطوطات فأسست في الغرب كراسي الأستاذية في الجامعات لدراسة هذا التراث وأثره على الحضارة العالمية، ومن هذه الكراسي ما خصص لدراسة اللغة العربية وآدابها بصفة خاصة، أو لدراسة العلوم العربية والآثار الفكرية...وقد أعجب الكثير من العلماء والمستشرقين الغربيين بعظمة التراث العربي المخطوط وأثره في الثقافة العالمية فانهمكوا في إعداد البحوث والدراسات لإبراز هذا التراث،

ومنهم (دونكان بلاك ماكدونالد)وهو أمريكي ولد في انجلترا (1863)كان عضوا مراسلا في المجمع العربي بدمشق، وقد وجد ماكدونالد أن الغرب تجاهل لفترة من الفترات مدى تقدم العلوم العربية الإسلامية ورأى أنه لم يقدرها التقدير الذي تستحقه، رغم ما قدمه التراث العربي للفكر الإنساني بصفة عامة ولتاريخ الحضارة والتطور العلمي"[1]

وهذا هو التوجه الذي اتجهت فيه الكاتبة الألمانية سريغريد هونكا في كتابها العظيم " شمس العرب تسطع على الغرب" حيث ثمنت أهم المنتجات المعرفية والإبداعات والاختراعات والكتب والعلوم التي صنعتها عبقرية المسلمين العرب وكانت مستندا أساسيا استندت إليه النهضة الغربية الحديثة في وثبتها الحضارية العملاقة في العصر الحديث.

"ولقد استطاع العلماء العرب والمسلمون أن يقدموا لأمتهم وللإنسانية ميراثا ضخما في مختلف العلوم والفنون والآداب، بعضه عرفته الأجيال المعاصرة، وبعضه الآخر، وهو الكثير ما زال مجهولا تتوزعه مكتبات أوربا وأمريكا وتركيا والهند وإيران وغيرها، ومما سهل انتقال هذا التراث المخطوط إلى الشعوب الأخرى كثرة الكوارث والحروب التي مرت على الأمة العربية الإسلامية والتي شغلتها عن الاهتمام بهذا التراث العظيم، إن تراثنا المخطوط يختزن مساهماتنا الفكرية والعلمية والأدبية والفنية التي قادت العقل البشري إلى المخترعات الحديثة التي نعيش عصرها اليوم، فكيف لا نحرص على الحفاظ على هذا التراث ونشره والاستفادة منه، وإعطاء الجيل الذي بهرته المدنية الغربية الحديثة، فرصة للمراجعة وتصحيح الكثير من المعلومات التي زودته بها البعثات إلى تلك المدنيات. إن المخطوطات العربية الإسلامية هي الينبوع الأول لمعرفة الثقافة الإسلامية والعربية في مختلف ميادينها، وهي المرآة التي تعكس صورة الحضارة العربية الإسلامية بأحلى مظاهرها، فلا يمكن معرفة هذه الثقافة حق المعرفة، ولإبراز الصورة الواضحة لتلك الحضارة إذا لم نرجع إلى هذا التراث العربي المخطوط"[2]

فالمخطوطات هي التراث المعرفي الذي يشير إلى البصمات الحضارية للجماعة في حقبة تاريخية معينة، ومدى تألقها واتقائها في صناعة الحلول للمشاكل المطروحة في مختلف المؤسسات الاجتماعية.

3- حركة المخطوطات في مخبر التاريخ:

نشأت المخطوطات تاريخيا بهدف تسجيل المعلومات ونسخها بوسائل تقليدية بهدف الحفاظ على المعلومات من التلف والضياع ووصولها إلى أكبر عدد من المتعلمين، وكانت حركة هذه المخطوطات تتجه باتجاهات متعددة، بعضها يوجه إلى السلاطين والخلفاء وبعضها إلى المجتمع والبعض الآخر مشترك بين الاثنين .

" كانت المخطوطات العربية على امتداد التاريخ الإسلامي تكتب وتنسخ لأغراض متعددة، فالمؤلف الذي يعد مسودة أو مبيضة لأحد مؤلفاته يكون دائما هو مالك هذه النسخة وصاحبها الأول. كذلك فإن العلماء وطلبة العلم الذين ينسخون نسخا من كتب مؤلفين آخرين

لاستخدامهم الشخصي يكونون هم المالكين الأول لهذه النسخ، ودائما ما يكون تفرغ من كتابة هذه النسخ بالصيغة التالية : "على يد كاتبه وصاحبه" أو كتب لنفسه "لمن شاء الله تعالى من بعده" أو "فرغ من تحريره .....لنفسه". ويدخل ضمن هذه النوعية من الكتب التي يطلبها السلاطين والملوك والأمراء وأيضا كبار العلماء كتابة نسخ منها ليضعوها في خزائن كتبهم الخاصة، وفي هذه الحالة لا يشار إلى ذلك في قيد الفراغ من كتابة النسخة وإنما على صفحة عنوانها (الظهرية) ، وتكون هذه النسخ عادت مكتوبة بخط منسوب ومزدانة الغلاف بأشكال زخرفيه أو مزينة بالذهب والألوان ويطلق عليها ((النسخ أو المخطوطات الخزائنية)) ويثبت عليها ذلك بالصيغ التالية:

"الخزانة....."، "لأجل....."، "تحفة لـ....."، "برسم خزانة....."، "بإشارة....."

وبعد وفاة مالك النسخة الأول أو اضطراره إلى بيعها، أو عند عرض نسخ بعض الكتب للبيع في سوق الوراقين، فإن ملكيتها تنتقل بالتالي إلى مالك جديد . وعادة ما يثبت أصحاب هذه النسخ إلى حوزتهم وشرائهم لها بالطريق الشرعي. وتساعد هذه التملكات أحيانا في تحديد تاريخ تقريبي للنسخ التي لا يعرف لهل تاريخ نسخ، وفي معرفة رحلة النسخة وانتقالها من يد إلى يد أو من بلد إلى بلد . كذلك فإننا نجد في هذه التملكات خطوط العديد من العلماء المشهورين الذين آلت إليهم هذه النسخ، كما أن وجود النسخة في ملك عالم شهير يمنحها أصالة وثقة أكبر حيث تتاح لهذه النسخة فرصة مراجعة هذا العالم لها وتصحيحها، وتفيدنا هذه التملكات أيضا في معرفة أسماء كثير من أصحاب خزائن الكتب ومحبيها في تاريخ الإسلام"[3]

إذن فقد لاحظنا أن حركة النسخ تتجه باتجاهات متعددة بعضها يتجه إلى خزائن السلاطين والخلفاء والعلماء، والبعض الآخر إلى طلبة العلم والباحثين من رجالات العلم الذين ينسخون الكتب بأنفسهم من أصلها بهدف الاستفادة منها.

4- خطب العلامة سي عطية مسعودي عرضا وتحليلا:

الخطبة الأولى:

في هذه الخطبة الأولى للعلامة سي عطية مسعودي، والتي تعتبر من التراث المخطوط الذي تركه، يتكلم فيها عن القيم السلبية التي ظهرت في تلك الحقبة في المجتمع الذي كان يعيش فيه، والقيم الايجابية التي ينبغي أن يتحلى بها الفرد والجماعة كعلاج للمشاكل الاجتماعية المطروحة في تلك الفترة .

فيقول العلامة:

"الحمد لله الذي علم الذنوب فغفرها، وأبصر العيوب فسترها، واطلع على القلوب المنكسرة فجبرها، وقسم أرزاق الخلايق و يسرها، وأوضح البراهين الدالة على وحدانيته وأظهرها، وأرسل السحايب بالأمطار ويسرها، وأخرج الأنهار من منابعها وفجرها،

فالموجودات تشهد بوجود من فطرها، وتظهر حكمة صانعها لمن نظرها، نحمده بجميع محامده، ونشكره على جميل عوايده، ونستجير به من خطوب الدهر وشدايده، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توردنا من الإيمان أصفى موارده، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي وعد أهل التقوى بالجنة وصدق في مواعده، صلى الله عليه و على آله وصحبه القايمين بتأييد الإسلام وتشييد قواعده، صلاة تنيل الوطر، وتستنزل المطر وتعم بفوايده. أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله الذي أمدكم بنعمته وأعاذكم من نقمته ودبركم بحكمته وأنزل لكم الغيث من خزاين رحمته فأترع به حياضكم وأمرع رياضكم وأدر ضروعكم وأنبت زروعكم وأرخص أسعاركم وعم بالخصب أقطاركم وبلغكم أوطاركم إحسانا منه وتفضلا وإنعاما وتطولا فاذكروا آلاءه العظيمة واشكروا مننه الجسيمة ولا تقابلوها بالمعاصي الذميمة فإن المعاصي تزيل النعم وتوجب النقم وتهتك العصم وتدع البيوت خاوية والمنازل خالية وتحبس قطر الغمام وتؤدي إلى هلاك الأنام فأحذروا من عواقبها الردية وعليكم بالطاعة المقربة إلى الحضرة الصمدية الكفيلة بنيل السعادة الأبدية. عباد الله الصلاة الصلاة فإنها صلة بين العبد وبين ربه ومناجاة يستزيد بها من فضله ويستقيل من ذنبه جعلها الله فارقة بين الكفر والإسلام وسابقة بصاحبها إلى دار السلام وأدوا الزكاة فإنها مطهرة لأنفسكم منماة لأموالكم وعدكم الخلف وعدته محققه بقوله صلى الله عليه وسلم (ما نقص مال من صدقة) وأطيعوا الله ورسوله فيما أمركم من بر الوالدين والأرحام وعدل الصفة في الأحكام والشفقة على الذرية الضعاف الأيتام . وعليكم بوفاء المكاييل والموازين واللين في معاشرة النساء والإحسان إلى الجيران وذوي القربى والأصدقاء والتفضل بكظم الغيظ ودفع السيئة بالحسنة فإنها طريق عند ذوي التحقيق مستحسنة، عباد الله أغنى التصريح عن التلويح وبان طريق النجاة من طريق الهلاك فإليكم الترجيح هذا كتاب الله يتلى بين أظهركم ويسمع ، وهذا القرءان الكريم الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا يتصدع فأين المتدبرون لآياته ومعانيه المؤتمرون بأوامره المنتهون عن مناهيه وأين من لهم في التعاون على البر والتقوى عمل مبرر وأين المتواصون بالحق والصبر ومن لهم في الصالحات سعي مشكور فهل ضلت الافهام أم عميت العيون فإنا لله وإنا إليه راجعون اللهم اجعلنا لأنعمك شاكرين ولآلائك ذاكرين ومما كسبت أيدينا مستغفرين واغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين الحديث قال عليه الصلاة والسلام (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت علانيته واستقامة طريقته).

في هذه الخطبة المخطوطة نجد العلامة يشير إلى قيمة دينية سالبة وهي (المعصية) التي هي أصل البلاء في كثير من مناحي الحياة الاجتماعية ثم يشير إلى كثير من القيم الدينية الايجابية أهمها: الصدقة، الصلاة، الزكاة، بر الوالدين، الإحسان إلى المخلوقات، كظم الغيظ، وفاء الكيل والميزان وهذه كلها تقوي في النهاية شبكة العلاقات الاجتماعية التي تؤسس لقيام المؤسسات الاجتماعية الحافظة للتوازن الاجتماعي بين الدولة والأمة.

الخطبة الثانية

في هذه الخطبة يشير العلامة سي عطية مسعودي إلى كثير من القيم الثقافية السالبة التي تمثل أمراضا اجتماعية في الجماعة، وفي الوقت نفسه يعرض العلاجات اللازمة المتمثلة في القيم الثقافية الايجابية والتي ينبغي أن يحرص عليها المسلم الجزائري حتى تقوى وشائج وروابط المجتمع، وفي هذه الخطبة يقول:

" الحمد لله المعيد منوع الخلق بحكمته إلى شقي وسعيد وجامعهم ليوم غير بعيد ليتجلى هنالك بالفضل والعدل حسب الوعد والوعيد، تمت كلمة مشيئته في الأنام، ونفذت أحكام قدرته بالنقض و الابرام، لا اله إلا هو ذو الجلال والإكرام، أحمده وأين مني الحمد الواجب لجلاله، وأشكره شكرا يستعقب المزيد من أفضاله وأشهد أن لا اله إلا الله شهادة ادخرها ليوم الفاقة، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله شهادة تغسل رياء القلب ونفاقه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما يبلغان صاحبهما حسن مآبه، أيها الناس إلى متى نستفسح سرح الأمل، ونستفتح أبواب اللهو والبطالة معرضين عن صالح العمل، ألم يأن أن نكبح أعنة الهوى، ونكدح فيما يرضي مولانا فطالما أرضينا من غوى، وأهملنا النفوس الأمارة، في مراتع الانهماك والدعارة، وقد ثبت بالتجارب أن من لم يخش العواقب، لابد أن يقع في مهاوي المعاطب، ولا بد أن تزل القدم، ويندم حيث لا ينفع الندم، حيث اغتر بعافية عاقبتها الألم، وأعرض عن أخراه بزخارف هي في الحقيقة أضغاث أحلام، كيف يغفل العاقل عن تقلبات الأيام بالأنام مع ما يشاهده منها من نقض الإبرام ونقض التمام ووراء ذلك هجوم الحمام، المشتت لكل اتصال والتحام، واعلموا عباد الله أن مرادنا بمن لا يخشى العواقب، هو الذي يقبل على الدنيا بالقلب والقالب، بأن تكون مساعيها عنده مقصودة لذاتها ، ولا مطمح له سوى اغتنام ما يسنح من لذاتها، أما إذا كان إقباله عليها باعتبار كونها لآخرته مطية، وذو الحزم يجتهد أن لا تكون مطيته في الإيصال لمأمنه بطيه، فمثل هذا لا تكون أشغاله الدنيوية منافية للأخرى بل إذا كانت مساعيه متعدية لنفع الأمة تكون بالقبول و الثناء أحرى والحديث الشريف جعل الدنيا مزرعة للآخرة، كما جعلها العارفون بحرا واتخذوا صالح الأعمال سفنا فيه ماخرة، والله سبحانه وتعالى ما ركب في الإنسان العقل والأمل، ألا يقبل في دنياه على العلم والعمل، وكل إنسان يباشر ما اقدره مولاه عليه وأهله، وفي الحديث (اعملوا فكل ميسر لمل خلق له)، وقد أشرف عليكم شهر ذي الحجة، الذي قام على تعظيمه الدليل والحجة، وللعشر الأوائل منه زيادة تفضيل، ففي أول يوم منها كان مولد أبينا إبراهيم الخليل، وفي آخرها ابتلي بذبح ولده الجليل، وفي ثامنها قبلت توبة أبو البشر آدم وفي تاسعها تعارف مع حواء فصارت للحج مواسم، ومن مقدمات خير هذا الشهر ما من الله به علينا من الغيث النافع، وقت استعداد الأرض لتنمية النباتات والمزارع، فالواجب أن نشكر المولى المنعم عسى أن يقابل نمو الآمال نمو الأعمال، وإن كانت نعمه تعالى لا يحصيها التفصيل منا ولا الإجمال فعليكم إذا سركم رضوان الله سبحانه أن تكرموا نزل هذا الشهر، وتوفروا من الطاعات

حظه فإن من خطب الحسناء لا يستغلي المهر، فتقربوا لمولاكم في هذه الأيام بأنواع القرب من صلاة وصدقة وصيام وقيام فإن كلا منها حث عليه الشرع ففي الحديث (ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله تعالى من أيام عشر ذي الحجة...) .

يذكر العلامة سي عطية مسعودي كثيرا من القيم الثقافية السالبة المنتشرة في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه وهي: طول الأمل، اللهو والبطالة، الدعارة، إهمال العواقب، الانغماس في اللذة، الإعراض عن الآخرة ثم يذكر في مقابلها العلاج المتمثل في القيم الثقافية الايجابية وهي كما ذكرها العلامة: الاعتبار بالأيام، الاجتهاد في العمل الصالح، نفع الآخرين، الجمع بين العلم والعمل، اغتنام أيام ذي الحجة للأعمال الصالحات، وكأن العلامة سي عطية مسعودي يشير إلى المعنى الواسع للعبادة في الدين:

"وسر الخلق والأمر، والكتب والشرائع، والثواب والعقاب ، انتهى إلى هاتين الكلمتين: وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده نصفين، فنصفها له تعالى وهو (إياك نعبد)ونصفها لعبده، وهو (إياك نستعين)، والعبادة تجمع أصلين:غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول : طريق معبد،أي مذلل، والتعبد:التذلل والخضوع.....و(الاستعانة) تجمع أصلين:الثقة بالله والاعتماد عليه، فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس، ولا يعتمد عليه في أموره - مع ثقته به- لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه - مع عدم ثقته به – لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلى اعتماده عليه، مع أنه غير واثق به"[4]

وهكذا نجد أن العلامة سي عطية مسعودي يعمل على الإصلاح الاجتماعي من خلال الأدوية والعقاقير التي تنتجها صيدلية العبادة بالمفهوم الواسع لها من خلال الشريعة المحمدية الصالحة لكل زمان ومكان .

الخطبة الثالثة:

أما في الخطبة الثالثة فإن العلامة سي عطية مسعودي يتكلم عن قيم ثقافية سلبية تنتشر في المجتمع الذي ينتمي إليه ثم يتحدث عن أهم القيم الثقافية الموجبة التي ينبغي أن يتحلى بها الفرد كي يعالج المشاكل الاجتماعية الموجودة في المجتمع فيقول:

" الحمد لله الذي ظهر بالدليل لخواص الأحباب وبطن عن تخيل الحواس بالحجاب، أحمده ومحامده فوق الأطناب، وأشكره ونعمه على الشاكرين ممتدة الأطناب، أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خلصت عن الشك والارتياب وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أنزل بمنقبته الكتاب وأجزل على محبته الثواب ورفع لسنته علم الصواب ودفع بسطوته صدور ذوي الارتياب، صلى الله عليه وعلى آله ذوي الحسب اللباب، وعلى أصحابه نعم المصحوب والأصحاب، أيها الناس والخطاب لمن يخاف ويحذو خذوا الاهبة فقد أعذر من أنذر كفى بالشيب الطارق للمفارق، نذيرا بأن الحياة زور مفارق، فاللبيب من استدرك بياض اللمم، واعتراض الهرم، وانقراض الأمم، فالعبر تشهد والعمر ينفد فما اسعد من يسعى في الخلاص و يجهد، وما

أشقى من يلقى الله بشيب أبيض وقلب أسود، ما أجهل من اكتهل وما ابتهل ولقد خاب من شاب وما تاب، فيا معشر الشباب كم ثمر قبل الأبان افترط، ويا معشر الشيوخ فات الأوان وإذا يبس الثمر فإن لم يلتقط سقط، فإلى متى كلكم في الشهوة مفرط وفي التوبة مفرط، المبتدئ والمنتهي والمتوسط، غفلة عمت، ومحنة طمت وفتنة صمت ما هي ألا أقضية تمت، فهيهات الخلاص والمقام رحيل والسفر طويل والحمل ثقيل والزاد قليل فرحم الله إمرءا تزود التقوى ما دام على التزود يقوى فبل سرعة الفوت وصرعة الموت وحسرة الأحباء وحيرة الأطباء قبل هجوم المحتوم والقدوم على الحي القيوم يوم يدان أهل الطاعة يوم يهان أهل الإضاعة يوم لا تسمع الضراعة يوم لا تجزي نفس عن نفس ولا تقبل الشفاعة، أيها الناس لا تغتروا بهذه الدنيا السريعة الزوال ولا تلهكم عن التزود من صالح الأعمال الأولاد والأموال فرحم الله إمرءا أخذ من صحته لسقمه ومن شبابه لهرمه ومن إدراكه لقوته ومن حياته لموته وهل بينك يا ابن آدم وبين البين إلا حلول أجل الدين وشخوص بصر العين، وقد صرت أثرا بعد عين، فمن لك إذا استحكمت علتك وتعذرت بلتك وأعضل داؤك وأشكل دواؤك وصرعت لجنبك ووقعت في كربك وجهز كفنك....وهيئ مدفنك، وانقطع من الدنيا رزقك وضاع في تدبير نفسك حذقك، واستوفيت مكتوب أجلك وأمرت الملائكة بالختم على عملك، هو الموت كلنا للموت عقير نازلة الموت ما لأحد فيها من تدبير، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير، الحديث : قال عليه الصلاة والسلام (كن في الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل وعد نفسك من الموتى)".ففي هذه الخطبة نجد العلامة سي عطية مسعودي يشير إلى القيم الدينية السالبة وأهمها:

إتباع الشهوات، والتفريط في التوبة، الاغترار بالدنيا ثم يذكر إلى جانبها أهم القيم الدينية الايجابية التي ينبغي أن يتحلى بها الإنسان وأهمها: الاعتبار بتغير أحوال الدنيا، الاتعاظ بالموت، الاجتهاد في العبادات وكأن العلامة سي عطية مسعودي يذكرنا بما قاله أبو الأسود الدؤلي :

ولم أرى كالدنيـــــــــــا بها اغتر أهلها

ولا كاليقين استوحش الدهـــــــــر صاحبه[5]

الخطبة الرابعة:

وفي هذه الخطبة الرابعة نجد أن العلامة سي عطية مسعودي يذكر كثيرا من القيم الثقافية السالبة ثم يذكر إلى جانبها القيم الثقافية الايجابية كعلاج لها فكأنه يفرغ جماعة المصلين من الشر ويملأهم بالخير عليه سحائب الرحمة حيث يقول:

"الحمد لله الذي انعم علينا بالكتاب المبين وحفظه من التغيير والتبديل على ممر الأحقاب والسنين وأشهد أن لا اله إلا الله الذي جعله رحمة وشفاء للمومنين وهدى ونورا يستضيئون به فيما يحتاجون إليه في الدنيا والدين وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي حثنا على تعلم القرءان وعلمه أصحابه وأمرهم بكتبه دون غيره اعتناء بشأنه وخشية النسيان اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والكمال الذين أتقنوا دراسة القرءان وأورثوا

كنزه الثمين من بعدهم من الأجيال أما بعد فيا عباد الله إن الله تبارك وتعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وجعله خاتما للأنبياء والمرسلين وأنزل عليه كتابا قيما منيرا يهدي للتي هي أقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا فهدى أهل العقول الراجحة إلى صراط مستقيم وأخذ بأيديهم إلى حيث السعادة والنعيم المقيم فكان معجزة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) مستمرة إلى يوم الحساب وحجة قايمة للإسلام إلى يوم المئاب، من عظم هذا الكتاب فأدى واجباته وانتهى عما نهى عنه فقد اهتدى ومن تهاون بقدره ولم يأتمر بأمره فقد ضل وغوى لقد عرف لهذا الكتاب العظيم قدره أسلافنا الكرام فوزنوا أقوالهم وأفعالهم بما فيه من أحكام فأسبغ الله عليهم نعمه وصب عليهم خيرات الدنيا صبا عميما وسوف يوتهم الله بما عملوا في الآخرة أجرا عظيما فهل اقتديتم بهم أيها المسلمون وسلكتم سبيلهم في احترام القرءان وحفظه والعمل به؟ الله يعلم وانتم تعلمون أن كتاب الله أصبح اليوم بين المسلمين لا يؤبه به ولا يقام له وزن ذلكم بما ملك القلوب من حب الدنيا حتى صرفت عن المحارم والمناهي فإن الهي تعالى يقول ومن أصدق من الله قيلا (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واسألوا الله سبحانه الإعانة على التقوى وأنيبوا إليه في السر والنجوى، وإذا دعتكم النفس إلى ارتكاب شيء من المحرمات فاردعوها، ورغبوها بتذكار جزيل الثواب، وخوفوها بإطالة التفكر في وبيل العقاب، واحفظوا السمع والبصر والجنان، وقوموا بحق الوالدين وساير المسلمين والأرحام والجيران، وتعلموا من العلم ما أوجب الله تعالى وحرم، فإن طلب العلم من أهم ما أوجب الله عليكم وألزم وقد جعل العلماء بينكم لأنبيائه وراثا، وصير لهم العلم نصيبا وميراثا، فاهتدوا بهديهم، واسعوا كسعيهم، واسألوهم عند عروض المشكلات التي لا تدرون، قال تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وقال النبي عليه الصلاة والسلام: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين".

وفي هذه الخطبة يشير العلامة إلى القيم الثقافية الايجابية التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم وأهمها : تعظيم حرمة القرءان، التطبيق العملي لتعاليم القرءان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التوبة، حقوق الوالدين والأرحام والجيران، طلب العلم.

الخطبة الخامسة:

وفي هذه الخطبة يذكر أيضا العلامة سي عطية مسعودي جملة من القيم الثقافية السالبة التي سادت في الوسط الاجتماعي الذي كان يعيش فيه، ويذكر إلى جانبها جملة من القيم الثقافية الايجابية التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم كعلاج لهذا المرض الاجتماعي المنتشر، ففي هذه الخطبة يقول:

"الحمد لله الذي أحسن لمن أحسن لخلقه، المنعم بما لا يستطيع أحد القيام بحقه، الخالق الرازق وكل الخلايق عيال على رزقه، فسبحانه من حكيم حكم فعدل فاقسط، حليم بمن عصى فرحم وما أقنط، أحمده والهامه وفقني، وأشكره وإنعامه أنطقني، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من نفح شهادته بالبرهان وهذب، وشهدت عنده شواهد العبان فصدق وما كذب،

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله وعده الوسيلة والفصيلة والدرجة الرفيعة فأنجز، وقلده البلاغ فبلغ وأبلغ وأوجز، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره والمهاجرين إليه المخاطرين بمهجهم بين يديه صلاة تقربنا زلفى لديه. أيها الناس كم توقظون لمصارعكم وكأن في مسامعكم الصمم، وكم توعظون وكفى واعظا بالموت يذهب بكم أمما بعد أمم، أشكا وأنتم تبصرون فما العيان بهتهم، ام تبصرون ولا تستبصرون فعوذوا عقولكم من اللمم ، أعوزكم التوفيق فحدتم والطريق أمم، وقعدت بكم الهمم فجمعتم سواد القلوب لبياض اللمم، يا أبناء الأربعين أصبتم بالشباب على قرب من العهد فما تأسفتم، ويا أبناء الستين ما أنتم على معترك المنايا قد أشرفتم، وهو المعترك الذي لا نجاة فيه بالمدارع عن المصارع، ولا بالسيوف من الحتوف ولا بالقصور من القبور ولا بشواهق الحصون من صواعق المنون إنها ليد معدودة عليه وكل نفس من أنفاسه لا قيمة له فإذا ذهب لم يرجع إليه فمطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل فيسار به أعظم من سير البريد ولا يدري إلى الدارين ينقل فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته ولما سبق من جناياته وسلف من تفريطه حيث لم يقدم لحياته فطوبى لموفقين الذين نصحوا أنفسهم وجعلوا حياتهم وقفا على خدمة سيدهم ومولاهم فإن أولى ما يتنافس فيه المتنافسون وأعلى ما يتسارع إليه المتسارعون ما كان بسعادة العبد في دنياه وأخراه كفيلا وعلى طريق هذه السعادة دليلا وذلك العلم النافع والعمل الصالح اللذان لا سعادة للعبد ولا نجاة إلا بالتعلق بسببهما فمن رزقهما فقد فاز وغنم ومن حرمهما فالخير كله حرم، فانتهزوا فرص الأعمار والزمان هذا وقد أتاكم الشهر المطهر من الآثام شهر الله العظيم شهر رمضان فلا تكدروا صفوه بشوب الغيبة والأباطيل والخوض فيما لا يعني والقال والقيل واخلصوا المتاب إلى ذي الجلال فإنه سبحانه يجيب دعوة المخلصين ويضاعف أجر المحسنين ولا يصلح عمل المفسدين الحديث:"...لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فأكملوا عدة ثلاثين ...."

من خلال هذه الخطبة نجد أن العلامة سي عطية مسعودي يشير إلى بعض القيم الثقافية السلبية المتواجدة في المجتمع الذي يعيش فيه وأهمها:عدم الاعتبار بمرور العمر، عدم الاتعاظ بالموت، عدو الاعتبار بتعاقب الليل والنهار، ثم يذكر القيم الايجابية التي تعتبر علاجات للقيم الثقافية السلبية السائدة واهم هذه القيم الايجابية:نصيحة النفس، خدمة الله سبحانه وتعالى، العلم النافع واعمل الصالح، انتهاز فرصة العمر، اغتنام شهر رمضان للأعمال الروحانية الكبرى.

خـاتمـــــــــة:

وفي النهاية نجد إن العلامة سي عطية مسعودي بقي طول حياته يعمل على نشر العلوم والمعارف الدينية الصافية النقية بهدف الإصلاح الاجتماعي عن طريق الخطب المنبرية والدروس المسجدية والجلسات العلمية في بيته مرسخا للقيم الثقافية الايجابية ومحاربا القيم الثقافية السلبية مستشهدا في كل ذلك بالقرءان و السنة والآثار وحياة الصالحين من القرون السالفة، فلا عجب أن بقي رمزا خالدا من رموز الإصلاح الاجتماعي، لأن العلماء نجوم ومصابيح في الأرض يضيء الله بهم على خلقه .

الهوامش :

[1] - سماء زكي المحاسني، **دراسات في المخطوطات العربية** ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1999،ص:13-14

[2] - عبد العزيز لعرج، **المخطوطات العربية أعمال الملتقى المغاربي الثالث للمخطوطات** ، منشورات مخبر البناء للمغرب الأوسط (جامعة الجزائر)،ط1،الجزائر،2007،ص:20.

[3]- ايمن فؤاد السيد، **الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1997، ص:454.

[4]- ابن القيم الجوزية، **تهذيب مدارج السالكين** ، مؤسسة الرسالة، ط 5، بيروت، 1994، ص:88-89.

[5] - منجي بوسنينة، **موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين** ، دار الجيل، ط 1، بيروت، 2001، ص: 688.